جمال حسن

النقطة الداكنة للمشكلة الطائفية

أذاعت قناة العربية مؤخراً لقاء مع إياد علاوي، رئيس الوزراء العراقي السابق، متحدثاً عن تداعيات الأحداث العراقية بعد سيطرة مسلحين إسلاميين متشددين على أجزاء واسعة من العراق. لم أشعر من حديثه إلى أي طائفة أو مذهب. هل هو شيعي أم سني؟ لماذا نثير تلك الأسئلة. يمكن اعتبار الموضوع الكردي مختلف، بما أنها قومية موزعة على أربع دول. تنشأ الأسئلة من الإشكاليات، وهذا ما يتيح لنا بقدر من التمعن والنظر إلى اعمق اشكالية يواجهها المجتمع العراقي اليوم، وهو يندفع نحو حرب طائفية. قد يتحدث البعض انني اثير القضية العراقية بمعزل عن مشاكلنا المحلية في اليمن. لكن السيناريو هناك يتم توظيفه هنا، واللاعبون هم أنفسهم حاضرون، إضافة إلى ثيمة الخطاب ومحفزات الصراع الطائفي. ما أثاره خطاب علاوي، هو الجزء المفقود من السياسة. فالديمقراطية المنتقصة على أساس أغلبية فقط، أكدت فشلها في العراق. إذ لا تقتصر الديمقراطية على أصوات الناخبين، بل على أشكال دستورية وقيم حريات تكفل المواطنة للشعب العراقي. المحاصصة الطائفية لا تبني وطنا، إذ تعيد إنتاج الطائفية وتشرعها داخل مؤسسة الدولة، وهنا تكمن الخطورة. وما تحتاجه العراق، هو بناءها على أساس القانون.

وإضافة إلى إشكالية المحاصصة، التي لا تسوي المشكلة الطائفية، تعمل ديمقراطية الأغلبية على إعادة تشكيل الرواسب الطائفية في شكل أغلبية مستبدة. وهذا ما فعلته سياسات المالكي. البعض طرح بسذاجة هذا الحل على المشكلة اليمنية، وهو ما يوحي إلى إعادة تجسيد الطائفية في شكل الدولة، في مضمون بنيتها الدستورية. تحويل الخطاب الطائفي إلى هوية سياسية. هذا النوع هو الذي أنتج لنا حسن نصر الله كزعامة سياسية مكرسة للاستدعاء الطائفي. فالمالكي صعد إلى حكم العراق، وإن عبر صناديق الانتخاب، لكن لم يصعد ضمن خطاب سياسي أو برنامج لحل المشكلة العراقية، لكنه جاء من المشكلة نفسها، مسنوداً بدعم آية الله السيستاني المرجعية الدينية هناك.

بالنسبة لحديث علاوي كان إرادة لإعادة العراق إلى شكلها الصحيح. ليست المشكلة في إثارة الموضوع الشيعي أو السني. الحل عراقي، ولن يأتي من إيران أو حتى من أي طرف يخوض هذا الصراع الإقليمي، ويحاول تشكيل إراداته في وجه التخمة الإيرانية. وهي التخمة التي تثقل كاهل المنطقة بميليشيات تقاتل في جبال اليمن كما في سهول الرافدين، وأرض الشام.

يحاول علاوي، وهو يحظى بثقة اطراف سنية وشيعية، وكذلك كردية، باعتباره يمثل خطاباً علمانياً، لا يميل لتشكيل بلد الطوائف. دعونا نكون أكثر واقعية، تشكل العلمانية الحل الحقيقي في وجه الصخب الطائفي الذي ينتجه تطرف المرجعيات والزعامات الدينية. فطهران بعبائة الخميني، هي مزرعة هائلة للاضطراب الطائفي.

تحدث الرئيس روحاني، وهو الوجه الإصلاحي، لكنه يؤكد التكون الشوفيني للسياسة الإيرانية بوجهيها. فهو يحذر أطرافاً في المنطقة من دعم الإرهاب كما يقول، باعتبار أنه سيرتد إليها. لكن ذلك ليس أكثر من غمامة النزاع تقف إيران في احد أطرافه، وتمارسه من التصعيد الطائفي.

تحدث أمير موسوي في إحد القنوات العربية، وهو أحد منظري السلطة الدينية في طهران، عن عدم قبول إيران للتدخل الأميركي في طهران، بينما قبولها لاختيار الأغلبية، قاصداً حكم المالكي. لكن ذلك كان نوع من التهويم. حيث لم يكن لدى طهران موقف حقيقي إزاء التدخل الأميركي. بل على العكس باركته بصورة مبطنة. بل وشاركت فيه، أي في إعادة صياغة المشهد السياسي العراقي، باعتبار أن لطهران تأثير قوي. وعلى العكس في سوريا كان موقفها حاسماً وواضحاً ضد هذا التدخل بما أن الأسد حليف لها.

ملاحظة بسيطة للموقف الإيراني إزاء التداعيات الأخيرة في العراق، يشير إلى تناقض الموقف. بل الأصح، وقوعه في فخ الموقف المبدئي لواشنطن. فروحاني أكد مسبقاً على استعداد طهران على التعاون مع واشنطن في المشكلة العراقية. لكن الموقف الأميركي كان مخيباً. فبعد إرسال حاملة طائرات أميركية للخليج العربي، بدا خطاب أوباما يذهب أكثر نحو حل سياسي، يطالب بتشكيل حكومة وطنية. بل إن وزير الخارجية الأميركية تحدث عن ثورة سنية. وهو كذلك استدعاء لشكل طائفي. أي تعزيز هذا البعد في الصراع، الذي أنتجه التدخل الأميركي، عبر تسليم السلطة للاغلبية ضمن خواء دولة القانون، وها هي تميل اليوم للعنصر الآخر.

التناقض الإيراني يظهر في تغيير اللهجة وبصيغة حادة، فبعد خطاب ناعم يرحب بالتعاون في الشأن العراقي. عادت اللهجة مستعرة وهي ترفض أي تدخل أميركي في العراق. وهو ما يبدو أن إيران ستكون جزءاً من المشكلة، وداعم أعمى مع سياسات المالكي ذات الوجه الطائفي. فكما ارفض تعبير كيري، بأنها ثورة سنية. أو ارفض هذا المعيار. مع ذلك لا ننسى المشكلة برمتها، سياسات انتجت هذا الانقسام الطائفي، وهي سياسات شارك بها نظام صدام حسين وسياساته. لكنها اليوم تصطخب بصورة مرعبة لاستفزاز الوهم الطائفي على حساب الحل الوطني. وإيران تقف في تلك البقعة الداكنة. فهي ستجد نفسها تحارب في كل مكان. إذ إنها ليست بعيدة عن لعبة البترو-دولار.

فتحي الشرماني
Fathi9595@gmail.com

أن يكون الجيش ضامنًا لتنفيذ مخرجات الحوار

المؤسسة العسكرية هي الضامن لتنفيذ المخرجات.. عبارة ترددت على المسامع بكثرة حين كانت جميع القوى المشاركة في الحوار تتهيأ لإعلان البيان الختامي، لكن سأقول اليوم: إن هذه العبارة كانت تحمل مضموناً عاطفياً يعكس الاعتزاز بالمؤسسة العسكرية في قلوب اليمنيين ومكانتها الوطنية ونسيجها الوحدوي المتغلغل في الوجدان .. وما يجري اليوم من أحداث يطرح أهمية أن تتحول هذه العبارة إلى حقيقة واقعة على الأرض نجد معها كل القوى السياسية تتضافر جهودها من أجل تعزيز قدرة المؤسسة العسكرية على أن تكون هي صاحبة المكانة والمهابة التي لا تنشغل بالسياسة ولكن السياسيين يجلّونها ويقدرونها حق قدرها، بوصفها المؤسسة الجامعة التي تضطلع بمهمة تأمين حركة العملية السياسية، ومواجهة شبح الأخطار التي تريد إفساد هذه العملية، فضلاً عن كون هذه المؤسسة صمام أمان الوطن والمواطن.

قُبيل انتهاء مؤتمر الحوار وعقب انتهائه حضرت كثير من الأحداث التي كان بإمكان المؤسسة العسكرية أن تكون فيها حاكمًا قويًا يواجه الجميع بالحقيقة، ويقول للمخطئ: أنت مخطئ، وليس مجرد وسيط لحل الخلاف بين متصارعين .. صحيح أن المؤسسة العسكرية بدت أكثر حكمة ومسؤولية وسمواً في التعامل مع هذه الأحداث، ولكن هل نقول: إن تعامل المؤسسة العسكرية كان بأسلوب الأب الذي يحاول أن يصلح بين أبنائه المتخاصمين، وهو في الوقت نفسه يتغاضى عن تمدد نزعة الاستعداء إليه من قِبَل ولد طائش يمطر كل من في البيت بوابل من السباب والشتائم؟!

تكمن المشكلة في أن جميع القوى السياسية طيلة العامين الماضيين لم تدعم المؤسسة الدفاعية للقيام بدور مهيمن، وذلك الصمت والحياد السلبي لا الحياد الإيجابي ضاعف تكلفة عودة الجيش ليكون حاميًا لكل اليمنيين على السواء، وحاكمًا على من يخطئ ويعتدي ويتمادى.

بدءًا من أحداث دماج وما بعدها لم نكن نغري مؤسستنا بالحرب، ولكننا كنا نقول: إن على جميع القوى السياسية والأطراف المتنافرة أن ترسخ في الواقع ثقافة (الكلمة المسموعة والصوت المهاب للجيش)؛ لأن ترسيخ هذه الثقافة هو تدشين الجيش لمهمته المتمثلة بضمان تنفيذ مخرجات الحوار، ولكن بدا الجميع يهرب مما لا بد منه، وهو أن يصبح الجيش عدوًا لمن هو مأزوم نفسيًا، وكأن هذا المأزوم لم يكن راضيًا حتى بأن يقف الجيش عند مستوى الوساطة ولا عند مستوى الصمت، وإنما يريد محوه هو من الوجود تحت تأثير نزعة كراهية تستحضر عداءً سابقًا وحروبًا مع هذا الجيش، ولم تكن أجواء مؤتمر الحوار ولقاءاته ثم مقرراته كافية لإزالة هذه النزعة، وربما أنها لم تلب 1% مما هو مطلوب للتعافي، وإذا كان هذا حال هذه القوى مع مقررات الحوار، فكيف سيكون الحال مع المؤسسة الدفاعية الضامنة لتنفيذ هذه المقررات؟ لاشك أن الموقف واحد.

الآن يحضرني التساؤل عن مستقبل مخرجات الحوار بشأن قضية صعدة، لكن الأهم من ذلك أن نتساءل: هل سيتوقف الصراع القائم بين المؤسسة العسكرية وخصومها؟ وهل ستنجح هذه المؤسسة في إقناع خصومها بحقها في التواجد والسيطرة، وإقناعهم بعدم جدوى الصراع وإشعال الحرب؛ فليس فيها غير الخراب والدمار؟! والسؤال الأخير ذو أهمية كبيرة؛ لأن نجاح المؤسسة العسكرية في تحقيق الإيقاف النهائي لهذه الحرب هو طريقها إلى ترجمة ما يريده الجميع منها، وهي أن تكون (الضامن لتنفيذ مخرجات الحوار)، ومن معاني هذا الضمان أن تكون هناك إرادة عسكرية واحدة لديها القوة التي لا تنازعها فيها أي جماعة أخرى.

نأمل أن يراجع حساباته كل من يوجه سلاحه إلى صدر الجيش، ويجنح للسلم ويسهم مع بقية القوى السياسية في تنفيذ مخرجات الحوار وحقن دماء اليمنيين، وتمكين المؤسسة العسكرية من أداء مسؤوليتها التي تؤديها مختلف جيوش الأرض، لاسيما أن تكون مؤسستنا الدفاعية في هذه المرحلة هي الضامن لتنفيذ مخرجات الحوار والحصن المنيع الذي يحتمي به اليمنيون.

مارب الورد
Ibb1986@hotmail.com

اصنع معروفاً تجده وقت الحاجة

ما أجمل وأعظم من أن تكون مصدر سعادة للآخرين! لا شيء يعدل ذلك، جوهر رسالة الإسلام إدخال السرور على قلوب البشر بتحريرهم مما يصادر سعادتهم التي تختفي بمجرد قلع شجرة الحرية وغرس شجرة الاستبداد.

اعمل خيرا إن استطعت، حاول أن تساهم في نصرة مظلوم أو مساعدة محتاج، لا تنظر في جنس أو لون أو هوية من تسدي له معروفا، ابحث في خارطة الفقراء لتعرف الأكثر احتياجا وتضررا لتدعمه أو لتدل غيرك عليه، لا تؤجل عملا قد ينفع غيرك إلى الغد.

لا تعيش كأنك معزول في جزيرة لوحدك، لا تتعلل بفقرك عن إطعام جائع أو معالجة مريض، لا تستسلم لعجزك وكسلك في إنقاذ إنسان وأنت قادر على ذلك، انطلق من عملك من كونك إنساناً لديك ضمير وأحاسيس ومشاعر مثلما للآخرين.

اعمل اليوم تجده في الغد، فرج عن منكوب وحرره من الهموم والغموم، لا تنتظر لتكون مسؤولا لكي تفعل الخير، فلربما إن وصلت لموقع المسؤولية لن تفعل لانشغالك ولنسيانك ولأمور أخرى تفرضها طبيعة عملك الجديد.

المعروف مفهوم عام وشامل لكل ما يترتب على فعله تحقيق مصلحة أو درء مفسدة، وقد تطول دائرة المستهدفين، والمهم أنك تفكر لأجل الآخرين في حدود استطاعتك ومسؤوليتك وليس أكثر من ذلك.

صناعة المعروف استثمار كبير ربحه وفير وعظيم، اقصد في عملك وجه ربك وستجد فوائد لم تكن في حسبانك وأرباحاً طائلة مودوعة في حسابك البنكي عند الله وأنت لا تشعر ولا توجد تجارة أعظم وأبرك من التجارة مع الله.

الإنسان بطبعه محتاج لغيره مهما كان غنيا أو مسؤولا أو صاحب نفوذ، هكذا سنة الحياة أن تحتاج لغيرك اليوم مثلما يحتاجون إليك غدا، لا يمكنك أن تستغني عن الآخرين، وطالما كان الأمر كذلك فلتصنع معروفا لأجل نفسك.

ارجع إلى التاريخ وابحث في صفحاته عمّن منحوا غيرهم جزءا من تفكيرهم ووقتهم ومالهم وجهدهم ستجدهم كانوا سعداء محبوبين حتى بعد وفاتهم لبصماتهم وآثارهم الشاهدة عليهم كمعالم للخير لا تنسى.

لا تستصغر شيئا في المعروف وتقول إن هذا لن يؤدي إلى نتيجة أو يحقق فائدة، لا تتوقف عند هذا كثيرا، وأنت ماشي في الطريق ساعد محتاجاً وأرفع الأذى عن الناس وأمسك بيد مسنا يريد اجتياز الطريق.

ازرع الخير أينما كنت، أنصح عديم الخبرة ليصحح طريقه، وقل الحق في وجه عاقل الحارة أو مدير المدرسة أو من كان أكبر منهما رتبة ولا تكتم ما تعتقد انه صوابا بحجة أن هذا مسؤولية غيرك أو أن صوتك غير مسموع ولا أحد يعرفك.

إن لم تكن مفتاحا للخير فلا تكن تغلق الأبواب أمام فاعلي الخير وتتصدى لمحاولاتهم وتحركاتهم بالتثبيط والتخذيل تارة وبالإرشاد إلى غير المستحقين تارة أخرى.

صنائع المعروف تقيء مصارع السوء، هل قرأت قصصا عن هذا؟ ألا تعرف أن الله أدخل امرأة بغي (زانية) من بني اسرائيل الجنة لأنها سقت كلبا عاطشا، وبالمقابل أدخل امرأة أخرى النار لأنها حبست هرة فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض.

حاول أن تفعل معروفا لغيرك ولو كان صغيرا، لا تنتظر جزاءا ولا شكورا، توقع الجحود ونكران الجميل لصنيعك، لكن لا تتوقف وتصاب بالإحباط، لأنك قد تختلف عمن وصلهم خيرك، أنت تعمل كون شخصيتك هكذا تحب الخير وهم غير ذلك.

ما تعمله من معروف ينفعك أنت أولا وإن كان المستفيد غيرك، سيأتي وقت تتمنى فيه من يكون معك ولن تجد غير ما قدمت، لذلك لا تبخل على نفسك بما ينفعك وقت حاجتك وعجزك وضعفك.

كن كالمطر أينما وقع نفع.

د. احمد حمود المخلافي

قيمة القيم

كلما اكتشفنا وازددنا انبهاراً وإعجاباً بالمكونات والأبعاد المتعددة للثقافة الغربية في عناها وتعددها.. كلما ازددنا قناعة بأن لها ارتباط وثيق بتاريخ وذاكرة مشتركة وبيئة جغرافية وثقافية معينة.. إشكالية تعالج على مستوى (منظومة القيم) المشتركة التي لا يمكن بدونها أن نفك ألغاز ثقافة ساهمت بقدر كبير في تطور الإنسانية..

يأتي هذا الاستنتاج عندما ندرك أن الثقافة لا يمكن نقلها ميكانيكياً وبشكل أعمى إلى مناطق أخرى من العالم دون اعتبار واحترام لقيم هذه المناطق..

إن الثقافات لا تستنسخ ولا يمكنها أن تتواصل فيما بينها ولا أن تغني بعضها البعض إلا إذا اعتبرنا هذه القاعدة الأساسية..

من الملاحظ أن هناك بعضاً من التحفظات، عن وعي أو غير وعي، لدى المسئولين الغربيين وترددهم في الذهاب نحو (الآخر)، ومرد ذلك هو جهل (الآخر)، إن لم نقل بسبب مركب كبرياء واكتفاء ذاتي..

لقد مكنتني ثقافتي من بناء أرضية صلبة للانطلاق، ومن أن أتفادى خطر الاستلاب والاستعمار الثقافي، وكل ما من شأنه أن يغتال الإبداع والخلق..

إن عولمة تضم القيم بفعل الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، لم تعمل إلا على تقليص حظوظ التواصل الثقافي المرتكز على احترام متبادل (لأساليب الحياة)..

وأن تواصل الأفكار وعالم الإبداع لا يخضعان لنفس المقاييس التي تطبق على المنتجات الزراعية والصناعية..

ولا يمكن احتلال الميدان الثقافي كما تحتل ساحة المعركة..

كل ما يمكن أن نتوصل إليه من نتائج، هو تكريس (الاثنو- مركزية) والهيمنة الثقافية التي تطبع موقف عدد كبير من الدول الغربية، من جهة، وتأجيج مقاومة أغلب الشعوب للاعتداءات ذات الصبغة الثقافية، من جهة أخرى..

كان من تداعيات الهجوم الجوي على (نيويورك) في (11 سبتمبر 2001)، تدشين عهد (الفوبقراطية)، ونقصد بذلك الخوف الذي نؤدي عليه ثمناً غالياً حين يتعلق الأمر بالدفاع عن الحريات.. الخوف الذي تحول إلى استثمارات ضد ما يسمى (الإرهاب) حيث ينفق (أربعمائة مليار) دولار سنوياً عبر العالم ضد هذا الإرهاب الذي لم يخضع لحد الآن لأي تفسير أو تحديد قانوني دولي مقبول.. هذا (الإرهاب) الذي يستثني إرهاب الدولة بما يخلفه من خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات، ويدمر البنية التحتية والمعدات..

فوراء هذه الحرب المفتوحة ضد الإرهاب، تظهر حرب أخرى ضد منظومة القيم..

إن احترام قيم الآخرين شرط أساسي من أجل الوصول إلى فهم نسبية مفهوم (القيم الكونية)، التي تمكن من تسهيل عملية التواصل الثقافي بين الشعوب، بدل عن الإلحاح على (التكيف) بتقاليد (كونية) مفبركة ومختزلة على مستوى الزمان والمكان في التاريخ البشري..

كونوا على ثقة من أننا سنقترب حتماً من هذه (الكونية) التي يتبجحون بها في اليوم الذي ستتساوى فيه حياة أمريكي وحياة إسرائيلي مع حياة مواطن من العالم الثالث، بصفة عامة، وحياة عربي ومسلم، بصفة خاصة!..

لكن الاعتداءات الوحشية للصهاينة وقوى الاستفراد في العالم تبين المسافة البعيدة التي تفصلنا عن (الكونية)..

ولكن هذا لا يعني أنني ضد (الكونية)، بل أني من أشد المؤمنين بها، ولكن تلك (الكونية) التي تكون نتاج تداخل وتفاعل للاختلافات.. تلك التي يرتكز (لوغاريتمها) على العدالة والإنصاف المطبق بدون تمييز عرقي، أو عقائدي، أو جنسي، أو اجتماعي..

نعم.. أؤمن بـ(كونية) الابداع والخلق حين نطلق لها العنان..

أؤمن بـ(الكونية) الروحانية التي يتجاوز الإنسان من خلالها بكل حرية..

أؤمن بـ(كونية) البحث والدراسة وطلب العلم..

أؤمن بـ(كونية) المصير المشترك للإنسانية..

لذلك، فإن كل هذه القناعات تدفعني إلى رفض (كونية) سريعة، مسيرة بروح النزعة المركزية، وبالإيديولوجيا السياسية والهيمنة.. وهي التي هذان المثالان المتطرفان، وبعكسها نسوق مثالاً آخر..

نموذج لتصريحات الهيمنة:

"بحكم تقدمه الكبير، فإن الغرب مؤهل لتغريب وغزو شعوب جديدة"..

(رئيس الحكومة الإيطالية الأسبق، 2001م).

"الولايات المتحدة هي الأمة الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها.. إننا في درجة عالية، وبالتالي فإننا أبعد مما تراه الأمم الأخرى"..

(مادلين أولبرايت، 1991م).

"إذا لم نستطع أن نعبر عن سياسة مشتركة، مبنية على القيم المشتركة التي نتقاسمها، فإننا سنصبح مهددين، ليس فقط بالفوضى، ولكن أيضاً في استقرارنا الاقتصادي والسياسي.. إذا لم تكن لنا قدرة على مواجهة التشدد والتطرف، ومواجهة الأزمات والحروب والمظالم"..

(توني بلير رئيس الحكومة البريطانية الأسبق، 2006م).

وهنا يأتي دور الذاكرة الفردية والجمعية..

الذاكرة هي إحدى القيم التي تعطي للزمن انسجامه واكتماله وتتفاعل بين ماض يتجدد، وحاضر عابر، ومستقبل مفتوح إلى الأبد..

لذلك، إننا لا نقوم بطي الصفحات، بل نعيد قراءتها بانتظام..

وفي ظروف الإهانة التي يعيشها العالم الغربي والإسلامي، بصفة خاصة، تصبح الذاكرة سلاحاً أكثر فعالية لتوثيق الماضي، وفهم الحاضر، وبناء المستقبل..

إذ يمكن أن تدمر البنيات التحتية.. لكن يستحيل تدمير ذاكرة شعب..

وفي اليوم الذي سنتوفر على بنك للمعطيات لجميع ضحايا هذه النزاعات.. آنذاك، يمكن لنا أن نتحدث عن الذاكرة كقيمة للبقاء..

أن يكون الإنسان واعياً بقيمة القيم.. فإن ذلك قيمة بحد ذاتها..

القيم هي الفرق الذي يُكوِّن الفرق.

حين نخطئ في تقدير دور قيم الآخرين.. فإن ذلك بحد ذاته منظومة قيم تنمي الجهل وتغذي الاستلاب.

"أريد أن تهب كل ثقافات الأرض قرب منزلي، بكل حرية، إن أمكن ذلك.. لكني أرفض أن أنقلب من جراء رياحها العاتية".. (غاندي)

إن القيم تتحرك على سلم زمني مختلف تماماً عما نعيشه في حياتنا اليومية، وهي بذلك تشكل أحسن وسيلة للدفاع عن الشعوب المغلوبة على أمرها، داخلها وخارجها.. وتاريخ حركات التحرر يقر ذلك بشكل كبير.

سيتحول الذين يهينون الشعب في عصرنا إلى مهانين في العصور المقبلة، بعد عقد أو عقدين، عندما سيفقدون جزءاً كبيراً من قوتهم السياسية والثقافية، وخصوصاً مصداقيتهم الأخلاقية التي بدأت تتدهور.

ومن ثم فقد أصبح من الضروري أن يتحسن التواصل الثقافي الذي سيبعد النفاق والكذب، وسياسة الكيل بمكيالين التي تعيشها وتمارسها علينا الدول الغربية وبلدان أخرى يدعي بعضها الدفاع عن حقوق الإنسان، وعن الديمقراطية التي تخرق بانتظام على أرض الواقع، والتي تشتم الأخلاقيات التي تتشدق بها، خاصة عندما يتعلق الأمر بشعوب اختارت بحرية قادتها الذين يحاربون الإهانة والرشوة والاستعمار الجديد والتبعية للإمبريالية والاستلاب..

اعتقد أنه ليس من المبالغة أن نقول، بأن مستقبل الإنسانية اليوم، رهين بدرجة الاعتبار الذي نعطيه للروح الإنسانية، وبالاحترام المتبادل للقيم، تلك القيم التي تشكل أساس استمرار الحياة في ظل الكرامة.. ومن ثم، القيمة المضافة والمتصاعدة للقيم في أيامنا العصيبة هذه، حيث أصبحت اللامبالاة بمعاناة الآخرين أمراً مقبولاً.

وبدون شك، فإن مستقبل الإنسانية سيكون رهيناً بالثمن المخصص للحياة البشرية بدون أي تمييز، والاحترام المتبادل للقيم هو روح البقاء البشري في ظل الكرامة.. ومن ثم (قيمة القيم).. و"سيعلمون غداً من الكذاب الأشر" صدق الله العظيم.

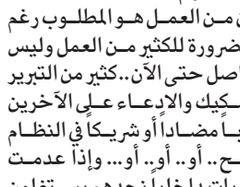

محمد عبدالحليم

ترحيل .. تأجيل .. حتى متى؟!

إن إيجاد الحلول ووضعها ضمن آلية برامجية محددة الخطوات وزمن التنفيذ للمشاكل التي يعاني منها أي مجتمع هي ضمن مهام الحكومات الرئيسية إلى جانب تسيير أمور البلاد ووضع معالجات مباشرة للأمور الطارئة لما يستجد ووضع الخطط للمستقبل والرقابة على أعضائها والمنتمين للجهاز الإداري الوطني المساعد لها في تنفيذ تلك الآليات والخطط والبرامج.. بكل مستوياته.

وبحسب المفهوم العام السالف الذكر فإن ما يستجد من أحداث أو أمور أو طوارئ ليست إلا عنصراً تالياً للبحث في حلول للمسائل المؤثرة على مستوى الوطن أو ما تسمّى بالقضايا المزمنة لأي حكومة في العالم.

وفي بلادنا اليمن الملاحظ - بحسب رأيي - أن الطوارئ من الأمور التي استولت ولا زالت تستولي على معظم العمل ويتم دائماً ترحيل البحث عن حلول منطقية وواقعية وفقاً للإمكانيات المتاحة من موارد أو تمويلات من وقت لآخر حتى ينتهي عمر الحكومات واحدة بعد أخرى ولم يتم إيجاد الحلول للتخفيف من هموم المواطن الذي تؤرقه عملية استمراره في توفير أسباب للتكيف مع نتائج ترحيل الحكومات المتعاقبة للأهم التي يتأثر بها إضافة لمعاناته الأصلية من تلك الكوارث.

مثلاً: الجميع كان ولا زال وسيظل يعلم بأن أهم أولويات المفروض أن يدور كل الوقت والجهد الحكومي للحد منها أولا هي: البطالة والفقر وانعدام الاستقرار الأمني والمعيشي وعدم وجود نظام يدعم الشعور بالسكينة يثق به الناس ناتج عن وجود الكمّ الهائل للوزارات والمؤسسات والهيئات والمصالح التابعة للحكومة.. كثيرة جداً على الحاجة وتغطي بمسمياتها كل جوانب الحياة.. لكنها منعدمة الأثر في مخرجات عملها المفقود في الغالب أو القليل في البعض منها.

الازدواج الوظيفي وعدم وصول كل ما يحصل للحكومة في كل المحافظات والمديريات وما أنتج من فساد مالي وإداري يتزايد يوماً إثر يوم ويضاعف بطلباته المتزايدة مستخدماً قوة الدولة ويهدد الرافضين الانصياع لتنفيذ كل ما يفرض عليه بعواقب ونصوص قانونية مرنة في القوانين الرسمية تستخدم تفسيراتها بحسب المتنفذين تعينهم على تمرير اجتهاداتهم تلك أو تفسيرهم للقانون - وإن كان معاكساً لألفاظه ومقاصده - مجاميع نجدها تعمل خدمة لأغراض ما نسميهم الفاسدون.. وفي غياب تام للحساب والعقاب على أي من أولئك المستغلين لوظائفهم الرسمية لتحقيق مصالحهم الشخصية أو الرقابة على أدائهم لأعمالهم.

الأمر أصبح يعود شيئاً فشيئاً لوضع سابق ساد وأدى في نهاية المطاف لثورة شعبية سلمية في العام 2011م. كل تجده في الحكومة أو أجهزتها ومؤسساتها يشكو - لا زال - من قلّ الإمكانيات أو الموارد أو عدم تجاوب المواطنين ومن استغلال البعض - بحسبهم - للظروف.. تبريراً لعدم أدائهم لأعمالهم في الوزارات أو غيرها من مواقع السلطة التنفيذية، علماً أنهم جميعاً قبلوا تلك المناصب وهم يعلمون بكل الصعوبات والمعيقات التي يرددونها كل يوم دون سأم أو ملل.. وأسئلة هنا تفرض نفسها من نوع: لماذا قبلوا تلك المناصب وهم لا يستطيعون أن يعملون منها أي شيء؟!

ولماذا لا يعملون فقط أو أقل ما يمكن لتطبيق اللوائح والقوانين الناظمة لوزاراتهم ومؤسساتهم؟!

ألا يستطيعون إلا إطلاق تلك الشكاوي كالعجائز دائماً أو فرض الجزاءات والخصومات والإقصاء لهذا أو ذاك من موظفيهم الكثيرين في الكشوفات ولا يستطيعون الاستفادة من إمكاناتهم أو تخصصاتهم؟!

أقل ما يمكن من العمل هو المطلوب رغم الحاجة بحكم الضرورة للكثير من العمل وليس العكس كما هو حاصل حتى الآن.. كثير من التبرير والتخوين والتشكيك والادعاء على الآخرين سواءً كانوا حزباً مضاداً أو شريكاً في النظام تيارات أو مصالح.. أو.. أو.. أو... وإذا عدمت المبررات أو الصعوبات داخلياً نجدهم يستغلون مبررات من الجيران أو الاقليم وصولاً للساحة العالمية.

إنهم كانوا ولا زال العمل وفقاً لنفس الأغراض وبنفس الوسائل.. رغم كل الظروف والأسباب والأحداث والتغيير الحاصل.. لا زالوا مبررارتية بحسب الشاعر المصري الراحل أحمد فؤاد نجم "مغرّدين خارج السرب".

ولكن حتى متى سيبقى الحال على ما هو عليه؟! أليس للصبر حدود يميّز عاقلا فيهم قرب موعد تجاوز الشعب لحواجزها..؟!